

صحوة

اميلي نصرالله

أخذتني بيدي، وقادتني إلى غرفة جانبية، ثم أجلسني فوق مقعد مريح، وجلست قبالي: صديقة الطفولة "مرسال" الشخصية الثانية في روايتي الأولى "طيور أيلول":

- ماذا كتبت عني؟...

ماذا تعرفين عني؟...

هكذا سألت، دون لفّ ودوران...

حسبتها ناقمة عليّ، وعلى انتهاز القلم، قربي منها، لفضح أسرارٍ كانت تخبئها في ما تدعوه "صناديقنا المقفلة" وتعني بذلك صدور النساء، تطوي أساهها، وتُسدل ستائر الذاكرة لتمحو أصوات أمسٍ مضى.

أصابني ارتباك لم أدر كيف أداريه بالكلام، فعادت هي تمتشق الكلمات:

- إنك بسذاجة رويتِ ومن بعد، إذ لم تقفي شاهداً على معاناتي الحقيقية؛ ومن بعدما

رحلتُ عنك وعن المكان الأول.

ثم راحت "مرسال" تروي، وبأسلوب خاص بها، حكاية تلك الفتاة القروية الجميلة الساذجة؛ وكيف قبلت الزواج من غريب في المهجر، حمل أبوه صورته وراح يبحث له عن عروس بين صبايا الضيعة. واختارها، هي، ورضي الوالدان، و"أعطوا قولاً" عليها.

وكنت أعرف الحكاية حتى ذلك الحد... لكنها الآن، تعتم فرصة لقائنا لتستأنف القصّ، وتتابع حواراً توقّف قبل نصف قرن:

"الحقيقة أغرب من خيالك، وأبعد من سردِ روايتي توكلّأ على حب مراهق، وثرثرة الجارات.

نعم رضيت أن يصبح صاحب الصورة، زوجي وشريك عمري، مثلما رويت، تماماً، إذ أعطاني فرصة لأهرب من ضنك العيش، وجور الأهل. وقد وجدت لديه لطفاً عوّضني من صفات كنت أحلم بها، كلما رسمتُ صورة في خيالي، لفارس الأحلام. لكن القدر أبقى إلا أن يتابع سخريته، فقضى عريسي بعد مرور شهرين على زواجنا، بنوبة قلبية لم ترحمه.

أول ما خطر ببالي، هو الرجوع إلى الوطن؛ لكن أباه المتسلط، والذي يحكم العائلة ومفدّراتها المالية، حال دون ذلك، وفرض عليّ الزواج من ولده الثاني، بحجة أنه دفع تكاليف سفري إليهم: "لقد دفعنا عنك" الناولون" وأهلك لن يستطيعوا وفاءنا الدين" قال.

وماذا تفعل طفلة لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها، في بلاد الغربة، وسويداء القلب؟!...
لويتُ عنقي ورضيتُ أن أعيش سنوات القهر والصمت، مع رجل لا يجمعني به سوى سقف
البيت الذي يؤوينا. وبرغم ذلك قمت بواجب الأمومة، وحملت أولاده، وأنجبتهم، وهم ثمار نقمة لا
ثمار حب.

ويتابع قذري سخريته، فيُصاب زوجي بالكفاف والشلل، وأتحول إلى ممرضة، وخادمة. أولم نُقسم
بأننا سنبقى معاً في السراء وفي الضراء؟

لقد غربت شمس سرائي قبل أن تُشرق. وعشتُ ولا أزال أعيش في كل لحظة، عتمة "الضراء"
بكل ثقلها، ولا أرى أمامي باب نور أو وعداً بالخلاص...

وحسبتي أقوم بزيارة عادية، إلى أهلي الأحباء، في ديار غربتهم، عندما "استفردتني" "مرسال"
وراحت تصلني بما لا أعرف عنها وهو الوجه الآخر للرواية.

روز

طالما كان يقول انه يريد أن يبني مزارا صغيرا تحت شجرة الجوز، تلك الشجرة المعمرة قرب بيتنا في البلدة. لكنه راح قبل أن يحقق حلمه.

أذكر انني كنت في بيت أهلي وكان طفلي في يومه الرابع من الحياة. أردت أن أعود الى بيتي بسرعة، لكن أمي أردتني أن أبقى كي أكمل اسبوع الولادة. كنت ما زلت صغيرة وكانت صحتي تقور عافية. اتصلت بزوجي طالبة منه أن يأتي ليصطحبني الى بيتنا مع مولودنا الصغير. علمت انه غادر باتجاه بيت أهلي الواقع في بلدة مجاورة، الا ان زوجي لم يصل. كثير من حوادث الخطف سجلت ذلك النهار، لكن لم أعتقد يوما ان الخطف سيطلنا.

لم يصل زوجي الى بيت أهلي.

لم آبه لغيابه في اليوم الأول. اعتقدت انه ذهب الى بيروت، ذلك ان عمله كان يضطره أحيانا للذهاب الى العاصمة دون انذار. لم يكن هناك هاتف خليوي بعد، وقررت الانتظار اليوم الأول ثم الثاني... ثم...

لم أفهم ما جرى، ولم أعد أستطيع التركيز على أي شيء. لدي المولود الجديد، وشقيقته التي لم تكمل عامها الثاني بعد، والقصف الذي ما عاد يتوقف، والحى الذي بدأت أشعر بالغبية فيه. كنا العائلة المسيحية الوحيدة التي بقيت في البلدة. بقينا لأن لا مكان آخر لنا نذهب اليه. سبقتنا عائلة زوجي الى استراليا أما نحن فارتأينا للحاق بها بعد أن أضع طفلي وأسجله على وثيقة سفري. بدل الهجرة الى استراليا، هاجر زوجي الى مكان أجهله ولا يعرفه الا الخاطفون. أما أنا فبقيت هنا.

بنيت له المزار حيث أراد دائما أن يكون. قمت ببنائه نفس اليوم الذي وقعت فيه على وثيقة تقول أن سمعان متوفي. صار لدي مكان أزوره الآن. طالما تساءلت أين أبكيه ان أردت ذلك؟ كنت أحتاج لشيء ما أضع رأسي عليه وابكي. أحتاج لبناء أو حتى لجدار صغير يرتفع في مكان معين ويحاط بالشموع. كان علي أيضا أن أصنع ذلك الجدار. كان علي أن أضيء الشموع. الجميع بعيد عن هذا الهم. راح زوجي ولم يعد. خسرت الرجل وعلي الآن أن أصنع له قبرا. قبر ولو لم يكن فيه أثر لجثة. قبور المخطوفين فارغة كحياتي التي قضيت أجمل سنواتها بالانتظار. رغم ذلك صرت أقول لنفسي: هنا يرقد سمعان. حتى اني صرت أضع الأزهار دائما امام المزار، وحين أتأخر في تغيير تلك التي ذبلت، أشعر أن سمعان زعل مني. أقترب من المزار وأروح أقول له "لا تزعل، أضطرت أن أبقى في بيروت فأنت تعلم ان امتحانات جورج المدرسية هذا الأسبوع، وكان علي البقاء معه، لذا لم أستطع زيارتك في نهاية الاسبوع كالعادة".

نعم! بعد عشر سنوات قررت توفيته. وقعت على وثيقة وفاته. أعلم بماذا تفكرين الآن. لا تنظري الي بعين اللوم! تقولين انني قاسية القلب، وان قلة من النساء اللاتي خطف أزواجهن قمن بهذا العمل. غيرك من افراد عائلتي فكر مثلك. لكنني لم أر أحدا منهم منذ مدة طويلة. ماذا كنت فعلت لو كنت مكاني بعدما توقفت الشركة عن دفع معاش سمعان؟ وثيقة أخرى من الكنيسة تشير الى حقي في الوصاية أعادت طفليّ الى عهدتي بعدما كان شقيق زوجي هو من يقرر فيما اذا كان يجب استخراج هوية لهما أو وثيقة سفر، أو حتى السماح لهما بالسفر. أنا بنظر القانون قاصرة مثل أطفالي وليس لي اي سلطة قانونية عليهم. دفعت أقساط ابني وابنتي في المدارس الخاصة، وأكملت بناء البيت الذي كان سمعان يحلم به ولم يكمله. كل هذا من تعويض التوفية الذي قبضته من الشركة حيث كان يعمل. أشعر بالخوف الآن. أفكر ماذا لو عاد سمعان؟ ماذا لو كان ما زال حيا؟ ماذا لو لآمني على ما قمت به؟

أشعر بالخوف، وأعلم ماذا يقول الناس أيضا فأنا ما زلت في الأربعين، وألسنة الناس لا ترحم. يريدونني أن أبدو مغلوبة على أمري ومريضة وقليلة الحيلة. اتركيني الآن أرجوك. أشعر برغبة في البكاء، ولا أستطيع البكاء أمام أحد.

ايمان حميدان يونس

«أحبك ليلى مراد...»
أحبك»

قفلت راجعة من الكلية إلى مكان سكني،
كلي ضياع وحسرة. لا أفهم كيف أن الرجل الذي
أحب والذي كان يكبرني بأعوام كثيرة أقدم على
خيانتني. شرح لي أكثر من مرّة عن السبب،
حدثني عن المنطق والظروف والأسباب والعوامل
وفارق السن... فاستنتجت أنني السبب لخيانته لي.
نظرت إلى نفسي وأنا في الشارع من غير مرآة،
والكتب الدراسية مضمومة إلى صدري. قلت
لجسمي: «أكرهك» قلت لخوفي «أكرهك» وتساءلت
متى سأكون طبيعية كهذه الشابة، كهذه المرأة،
ترى هل سأحمل يوماً مثل تلك الزوجة التي
تضع يدها فوق بطنها؟

وصلت إلى العمارة الكبيرة في قصر النيل،
حيث أشارك بنات فلسطينيات لسكن غرفة واحدة
لدى امرأة اسمها طانت راشيل وزوجها أونكل
فيليكس، فكّرت بل رأيت نفسي وبحسرة أقف
قبل أسبوع عند هذا المدخل أنتظر الرجل الذي
أحب، كيف رأى قلبي السيارة السوداء وفرّ إليه؟
ترى هل سأقف من جديد عند باب العمارة
أنتظر؟

كبست جرس الشقة، تناهى إليّ أصوات
وقرقة فناجين، تذكرت أن اليوم هو يوم «لعب
الورق» حيث طانت راشيل تستضيف لاعبات
البوكر. فتحت لي الخادمة «هانم» الباب، رأيت
وجهها مضيئاً واسعاً كالقمر، رميت كتبي أينما

حنان الشيخ
روائية لبنانية

كان، هرعت إلى ذات الوجه المضيء صائحة: «ليلي مراد ... مش معقول، بحبك ليلي مراد، بحبك». عانقتها وهي ما تزال جالسة شعرت بامتلاء صدرها، اشتامت رائحة عطرها، وعندما استوعبت أني أعانق ليلي مراد فعلاً، شددت على ليلي بنت الفقراء، على ليلي بنت الصحراء، على ليلي بنت الذوات، على القفص الصدري الذي انطلقت منه أغنية «الميه والهوا. تتعالى ضحكات لاعبات الورق. تعليق ليلي مراد الخجول: "أنت طعمة خالص... يا ظغونة". وصوت طانت راشيل ينادي «دي تلميذة من بيروت...»

منذ اليوم الأول لإقامتي لدى طانت راشيل كانت تلقي على مسامعي ومسامع البنات الفلسطينيات أنها صديقة للنجمة السينمائية والمطربة ليلي مراد. ولا بد أن تأتي مرة وتشاركهن بلعبهن «البارتيته» رغم أن ليلي مراد قلماً تترك منزلها هذه الأيام.

ذاك الصباح انهمكت الخادمة هانم في تلميع الأباجورات النحاسية وفي مسح الغبار عن تمثال بوذا المعروض فوق الطاولة، بينما تمتمت لنفسي... «حرام طانت راشيل ... كل هذا العذاب... من غير نتيجة!». سحبت كرسيّاً وجلست إلى جانب ليلي مراد للحظات، أنهض وأتي لها بكوب من الماء، رفعت شعرة سوداء قد فارقت تسريحة شعرها «الشيئين». بحلقت في الفم الذي يميزه الصغير والكبير، تأملت في العينين الملونتين بلون البنفسج واعدة نفسي أن أخبر أمي بهذا الاكتشاف، تفكيري السريع في أمي جعل قلبي يخطب بعنف، تذكرت فيلم «الحبيب المجهول» وأمي تطلب مني أن أحمل أخي الصغير الباكي مسرعة به خارج الصالة، ولا أعود به إلا إذا كف عن البكاء، ارتعد داخلي خوفاً من ألا أعثر على أمي بين الرؤوس الكثيرة والمقاعد العديدة في العتمة. وجدتني أهتف ليلي مراد وأنا أسمعها تزفر زفرة طويلة، ربما لأنها كانت تخسر في لعب الورق، "ليلي مراد كلنا نحبك في بيروت ... أمي تعبدك، مريم بنت خالتي بتموت عليك، فضيلة بتقلدك ... ولم أسترسل قائلة: لا بد أفلامها ووقوعها في الغرام على الشاشة وخارجها ودموعها وأغانيتها خاصة أغنية «نعيماً يا حبيبي» أثرت كل التأثير في أمي لدرجة أنها أرادت أن تدخل الشاشة وتعيش قصص الغرام هذه... لم أقل لها كل هذا لأنني كنت ساهية عن هذا التحليل والربط آنذاك (١٩٦٥).

بقيت إلى جانب ليلي مراد، رصدت حركاتها، عدت لها أنفاسها، ضيقت عليها الخناق، حدقت في راحتها، شوشت على تركيزها في اللعب. حثت نفسي لأن أطلب منها لو تأخذني معها إلى بيتها حتى أعيش معها إلى الأبد. لكن ليلي مراد فتحت شنطة يدها وناولتني عشرين جنياً، أصابني الارتباك، لكن طانت راشيل أومأت لي بما معناه أن أمد يدي وأخذها.

الشيخ: «أحبك ليلي مراد... أحبك»

أنسى خيانة الرجل الذي أحب، والبلاطة التي جثمت على صدري الأسبوع الماضي، منذ رأيتته مع شابة شقراء الشعر، ممتلئة الوجه والأرداف، نقيضي تماماً، تفارقني.

صفحت عنه، بل إنني نسيتته تماماً وأنا جانب ليلي مراد... ولم أفكر فيه إلا قبل أن أغمض عيني استعداداً للنوم، وللحظات فقط، إذ تحوّل مجرى تفكيري إلى العشرين جنيتها التي أخذتها مني طانت راشيل فور ذهاب ليلي مراد والبقية... وكلّي أسى لأن الجنيات التي لامست أصابع ليلي مراد لن تلامسها أصابعي مرة أخرى.

جميلة

شخصيات هذه الومضة وبطلتها شخصيات حقيقية لا تمتّ بصلة إلى عالم الخيال. فجميلة شخصية حقيقية من لحم ودم. إنها خادمة تاريخية في أحد بيوت البكوات الكبيرة. خادمة أبا عن جد. وُلدت في هذا البيت التاريخي وجايلت أبناء البيك وبناته. واكبتهم في طفولتهم ومراهقتهم وزواجهم وإنجابهم حتى غدت بالنسبة للجيل الثاني من الأبناء معروفة بماما جميلة. أمومتها هي العازبة وزعتها على أطفال الحسب والنسب لأن من هم في وضعها لا يستأهلون أن يعيشوا أمومتهم الخاصة. فكيف بجميلة التي عاشت عازبة ومستسلمة وما عرفت التمرد يوماً؟ بل أذعنت لوضعها كخادمة بصمت مطلق. أذعنت لغريزة ابن البيك المراهق. أوليس الناس طبقات ومراتب كما جعلوها تؤمن فأمنت بقوة؟! هل كان لها، هي الخادمة، أن تقول لا آنذاك لابن البيك المراهق الذي ضاقت أمامه فرص تفريغ رغباته في المحيط المحدود لبلدته؟ أوليست هي خادمة البيت الكبير بأشياءه وأشخاصه حتى الموت؟ وعندما اكتُشف حملها واستعصى إجهاضها وُضع المولود في أحد الملاجئ. لأنه يحمل جينات «العبيد» التي لا يمكنها أن تتساوى مع جينات «الأسياء».

الأمومة الفعلية لجميلة اقتصرت على أشهر الحمل التسعة. لكن أمومتها المستعارة عايشتها بصمت مع أحفاد البيك.

راوية الحكيم

اسم مستعار

أنسى خيانة الرجل الذي أحب، والبلاطة التي جثمت على صدري الأسبوع الماضي، منذ رأيتته مع شابة شقراء الشعر، ممتلئة الوجه والأرداف، نقيضي تماماً، تفارقني.

صفحت عنه، بل إنني نسيتته تماماً وأنا جانب ليلي مراد... ولم أفكر فيه إلا قبل أن أغمض عيني استعداداً للنوم، وللحظات فقط، إذ تحوّل مجرى تفكيري إلى العشرين جنيهاً التي أخذتها مني طانت راشيل فور زهاب ليلي مراد والبقية... وكلّي أسى لأن الجنيهاً التي لامست أصابع ليلي مراد لن تلامسها أصابعي مرة أخرى.

عاشقة المدينة

في إحدى المناطق الشعبية من بيروت، في أواخر ثلاثينات القرن المنصرم، اندفعت بهيئة على السلم المتآكل لبيتهم الصغير هاربة نحو الشارع. وبمجرد خروجها من زروب بينهم، وابتعادها عن الكره المقهور المتفجر في حجرة أمها، فاحت في أنفها الروائح التي تحب: الخبز الطالع من الفرن والبقول والحمص المهيآن للتدميس والتتبيل والشاورما الناضجة ورائحة الجلد من دكان الإسكافي الذي لا يكاد يتسع له ولعدته.

تدفقت في عيناها المشاهد التي مازالت تفتتها منذ قدومها مع أمها وإخوتها من القرية: أناس من جميع الأعمار والأشكال يتأبطون الحقائق المدرسية أو أكياس الخضار والفاكهة أو ملفات العمل أو جعبة التحصيل. كل في انطلاق واثق نحو الهدف. وفي مقابل دينامية هؤلاء، آخرون يستوقفون الوقت أو يمضغونه أو يتأملون حركته بإصرار على الوقوف خارجها: نساء يتحدثن عبر الشرفة أو رجال يجالسون رفاق لهم من رواد القهوة، بعضهم يدخن النارجيلة والبعض الآخر يلعب طاولة الزهر وآخرون يتحدثون أو يراقبون المارة.

لعل أكثر ما كان يثير إعجابها هذا التفاوت في الانهماك الذي يوحى بأن لكل إنسان أن يختار ما يقوم به أو ما يشاغل نفسه به عند رغبته بالعزوف عن العمل. أما هي فما كان لإرادتها من تأثير على كل ما تفعله أو ما يقع لها. ولعل شعورها بهذا التفاوت بين ما رأته من ساحة واسعة للإرادة عند أهل المدينة وما كانت تشعر به في القرية من تضيق ورتابة وضرورة الانصياع للمكتوب والمرسوم هو ما دفعها بشغف لعصيان أوامر أمها بعد انتقالهم إلى المدينة.

وقفت أمام دكان صانع القمصان الرجالية تتأمل شطارته في العمل وتعجب من دقة شقيقه الرتا الذي ينتحي زاوية من محل أخيه، منكباً على رتق الثياب ناظراً إلى فتوقها من خلال عدسة مكبرة. نسيت نفسها وهي تتأملهما. تبسم الخياط لها ولم يسألها إن كانت تريد شيئاً كما كان يفعل في الأيام السابقة، فقد بات يعرف أن غايتها هي الفرجة وكأنها تحاول الارتواء من المشاهد التي يصوغها عمله. راقه أن يجد من يعجب بمهارته، ولو كانت المعجبة فتاة قروية لا تتجاوز العاشرة من عمرها.

بصعوبة سحبت نفسها من أمام الدكان للعودة إلى البيت كي لا يتفاقم ما تعلم أنه ينتظرها من صراخ أمها واتهامها لها بأنها تخرج ليغازلها البائعون وبأنها لا بد ستجلب العار للعائلة. لكن صناعة المناقيش في الفرن شدتها إلى الفرجة من جديد، فوفقت تعجب من شطارة الفران الذي يضع الزعتر والزيت فوق أرغفة العجين المرقوق و"ينقشها" ويرمي بها إلى الفرن الحامي بسرعة أقرب إلى لمح البصر.

عندما عادت إلى البيت الذي مازال محتفظاً برائحة القرية التي لا تذكّرها إلا بالملل والأيام الطويلة الفارغة، والإرادة المسلوبة، قابلتها أمها بصفعة على وجهها، بالإضافة إلى ما تعودت أن تقابلها به مؤخراً من شتائم تفترض خروجها عن معايير الشرف والناموس. ولما تساءلت الأم في فورة غضبها عما يمكنها أن تفعله إزاء عناد ابنتها الجادة وخروجها عن السلوك المرغوب، أجابتها الابنة المنتحبة: "أرسليني إلى المدرسة". عندها زاد غضب الأم وأخذت تضربها بقساوة أكبر قائلة: "ألا يكفي ما أنت فيه من مزايا العقوق والعدا حتى أزيد عليها تعليمك كي تكتبي عندما تكبرين الرسائل الغرامية لعشاقك؟".

وحتى الآن، بعد موت الأم وتخطي بهية السبعين من العمر، لا تزال بهية عاشقة للمدينة تخرج يومياً إلى التقاط نبض شوارعها ونفس حركتها المحمومة أو تكاسلها وما ينطوي عليه من أنماط التسلية المتاحة، ولا زالت تحدثني كلما التقيتها بما تعتقد أنها كانت ستكون عليه حالها لو ذهبت إلى المدرسة، فهي حيناً تقول أنها كانت ترغب بكتابة المسرحيات الفكاهية وحيناً آخر تتحدث عن رهافة ذوقها في اختيار الملابس وما كانت ستقوم به لو أصبحت مصممة للأزياء. وفي آخر لقاء لنا تساءلت عما كانت ستكون عليه حياة أمها لو كان تسنى لها أن تنال قسطاً من العلم بدل قضاء العمر منتظرة زوجاً لم يعد وحاقدة على امرأة سرقته منها، وعلى كل النساء الجميلات بما فيهن ابنتها بهية. {كلتاها عاشت حياتها مع وقف التنفيذ لما ترغب به ومع كبح ما لديها من قدرات ومواهب. متحملة شبه الفراغ المترامي على مدى حياتها الطويلة. بل لعل حياة بهية العانس كانت أكثر فراغاً من حياة أمها التي اضطرتها الظروف لأن تعنى بأولاد رزقت بهم، رغم ضالة ما لديها من مشاعر الأمومة ومسؤوليتها والفرح الذي يمكن أن تجلبه لمن تريد أن تملأ بها حياتها، أو جزءاً منها}.

وفي ذلك اللقاء قالت بهية ضاحكة بعد إطراقة طويلة: "لماذا يستبقيني عزرائيل مقيدة في هذه الحياة التي مرّت عقودها دون أن أفعل شيئاً. لو أخذني من بضع سنوات لكنت ولدت من جديد وأصبحت الآن تلميذة تحمل حقيبتها وتذهب إلى المدرسة".

سلوى بعقليني

ومضة من حياة

عزّه شرارة بيضون

كنت لم أبلغ السادسة بعد عندما روت لي جدّتي لأمي حكاية قايين وهابيل. وما زلت أذكر إحساساً قوياً امتلكني بأن ظلماً وقع على قايين لأن الله فضّل عليه هابيلاً، وتعاطفاً جارفاً معه للتمييز الذي لحق به؛ وأذكر، أيضاً، توبيخ جدّتي لاعتراضي على ذلك التفضيل. وزارني، في تلك الليلة، كابوس تكرر في ليالٍ متتالية؛ وفيه أنه حين جاء دوري في امتحان يوم الحشر، أمسكني شيخ مهيب بين ذراعيه، ودحرجني من أعلى قمة في جبل مغطى بالثلوج والضباب ليتلقّني، في أسفله، الشيطان نفسه! ويبدو أن هذا الكابوس، الذي كان يوقظني مرتعدة، أخفق في زجري، فلم أرتدع. بل إن انتفاضتي على ما بدا لي يومها اعتباراً في التمييز والتفضيل شكّلت، ربما، نموذجاً لتمرّدي اللاحق على أشكال الظلم، وعلى "دونيتي" المفترضة كأنتي، والتي بدأت أتمسّ وجوب القبول بها قدراً نهائياً في ثنايا الخطاب المتداول حول بنات جنسي.

ويبدو أن تفوّقي المدرسي وبروزي في المدارس المختلطة التي أمضيت فيها معظم مراحل دراستي كان تجريبياً واقعياً لانتفاء دونية أنثويتي المفترضة. لكن ذلك كان محيراً لي ولمن حولي. فالرسائل التي كنت أتلقّها من الآخرين كانت تحرّض، ضمناً، على الاختيار: إما متفوّقة (وخاصة على "الصبيان")، أو... أنثى. وأنا كنت أشعر بأنني الاثنتين معاً: كنت أعيش أحلام البنات كلّها والطموح الجامح للفعل والمغامرة كلّها.

وعيش الحاليتين لم يكن، بالطبع، بدون مآزم وآلام. ففي فوران الإقبال على الحياة، وفي التوق الكبير إلى اعتراف الجنس الآخر بي، بدا جلياً أن "الصبيان" يحبون البنات "البنات"؛ أي أولئك اللواتي طوّرن مواهب اللعب المتجاذب: قوة في الضعف، وجاذبية في اللامبالاة، وحيوية في السلبية، وتفوّق في التكاثر، وثقة في الانتظار، وثرثرة في صمت عنيد..... وهو ما بدا لي، يومها، مشروعاً بائساً لـ"الوجود". إذ كيف "توجد" من تنتظر وتضعف وتتلقّى وتصمت وتتكاثر ولا تبالى؟ لم أعقل ضرورة التخلّي عن "وجود"، تيسّر لي أن أتعرف على إثارته، لأن من بعض شروط الاعتراف بأنني أنثى كان القبول بحق الذكور باحتكار ذلك "الوجود"؟

وبقيت مسوّغات امتياز الذكور لـ"الوجود" غير مُقنعة. وأثارت احساساتي باعتبارية ذلك الامتياز ثورتي العتيقة وتوّقي للعدل، (لماذا فضّل الله هابيلاً على قايين؟). وأيفنت أنني من سليلة قايين: فقد ورثت عنه التمرد على قدرتي، فكان عليّ أن "أوسّعه"، وأن "أتوه في الأرض" بحثاً عن ذاتي بعد أن رفضت قدر الهوية - الإرث المرسوم سلفاً- الثانية في الوجود، (في رواية نسائية لقايين وهابيل، هل هناك ضرورة لقتل هابيل؟ ولماذا تضيق دنيا الله الواسعة بالاثنتين معاً؟)

ولا أدعي أنني ابتكرت هويتي تماماً. فأنا ثالثة في سلسلة من نساء فيهن بعض ملامحها: جدّتي لأمي كانت مدرّسة لثلاثين سنة، وأمّي لأربعين. والأغلب أن نمط

"وجودهما" حسم الجدل المتضمن في الرسائل المتناقضة التي كنت أتلقاها من الخارج حول هويتي؛ فهما جدتي وأمي- نموذجان من نساء أبهتت في تألق أندروجينيتها حجة النموذج النسائي "الصحيح"، وقزمت في وجداني احتمال التماهي به.

ثم ما لبثت أن التقيت بشبيهاتي من النساء في مسار دراستي الجامعية، وفي مهنتي، وفي انخراطي في العمل السياسي والثقافي. وهي لقاءات خفتت من تغربي - بل تغربنا- وبعثت في الاطمئنان بأن الواحدة منا لم تكن فريدة في اختبارات الوجود وخياراته؛ كنا، نحن المتمردات على قدرنا، نتكاثر من رحم الثورات التي كانت تعصف بعالمنا معززة خيارات وجودنا ومفسحة في المجال أمام انطلاقنا في مسار ننشئ معالم مسالكه تباعاً؛

.... والتقيت، أيضاً، برجال متوثبين للقاء ذاتيات مغامرة وباعثة على المغامرة لنستقر، متآلفين ومتنافرين معاً، في عالم "ما بعد الحداثة"- حضناً أعمّ لاستقبال فرادتنا، وحيث فرادتنا، نفسها، من بعض مكوناته.

الدراسة الميدانية الأولى* التي نفذتها كانت بحثاً عن ملامح الهوية النسائية في هذا الزمن؛ وذلك في محاولة للبحث عن شرعية مسار شخصي كان مثيراً وباعثاً على القلق، في الوقت نفسه؛ وهو مسار لم يكن شائعاً، بل وصف في الأدبيات النفسية، وكما قدر لي أن أكتشف لاحقاً، ب"غير السوي"! ولعلّ اختيار موضوع دراستي تلك كان ومضة، استدعت انطلاق ذلك المسار، وكان أيضاً كاشفاً لمسالكه بعدها.

دراستي الميدانية الأولى كانت احتفالاً، ربما، باختيار شخصي، وانتصاراً لاختبارات نسائية متشابهة، بل لعلها كانت، أيضاً، "دعوة" للتماهي بنموذج لهوية نسائية أندروجينية - حيث "الذكورة" فيها سنّد ل"أنوثة" يسعها أن تكون فخورة بكينونتها، وحيث ل"الأنوثة" فيها امتياز تدوير "الذكورة" والتعبير عنها بنكهات خاصة بكل واحدة منا وتوليفة حبلى باحتمالات حياة مثيرة.....نستحقها .

*- "الهوية النسائية الجديدة: دراسة ميدانية في التنميط الجندري الرباعي لدى فئة من الشباب اللبنانيات"، رسالة دبلوم دراسات عليا، الجامعة اللبنانية، 1988.

ومضة

علوية صبح

تقف وسط غرفة زجاجية تتطلع إلى شق البحر من بعيد. انتبه. الغرفة فيما مضى كانت شرفة. صار لها جدران زجاجية. تابع. قل كأنها مكان لا جدوى له. قل هي تقف هنا. جسد اخرس إذا كان لا بد من ذلك. منذ متى تقف هنا وتتطلع للبحر. دعك من السؤال. لا يهم. منذ هنيهة تحسست جسدها كمن يتحسس غيمة. منذ هنيهة ربما لم تكن كذلك. كانت متصلبة امام شاشة التلفاز في غرفة داخل المنزل ورأت دماً. دم ملأ الغرفة وفاض من عينيها. هربت. نفضت مسامير الصلب ودفعتها رياح خواء إلى هنا.

صارت تروح وتجيء. وسط الغرفة الزجاجية و تتطلع إلى شق البحر، ولا تراه في العتمة. حسبت أنها صورة فوتوغرافية للعتمة. راحت تراقب العتمة التي تحاصر المدينة كمن تتطلع إلى مرآة. ضوء القمر العالي وحيد. و كذلك اضواء الأعمدة الكهربائية. لا، قل بعض أضواء ممحية، أو ربما جردان تعبر الطريق. مواء قطط في ثنايا الازنين. شبح رنين هاتف. أخرس. أخرس مثل جسدها. أخرس مثل هواء الغرفة. ولكن انتبه. ضوء القمر كان عالياً ووحيداً. وحيداً لانه عالٍ. حاولت ان تتطلع إلى الفضاء لترى شيئاً. لم يكن من داعٍ لذلك. العتمة موصدة. لا. لا صوت البتة. لا جواب لعصفور أو لضوء أو لعتمة. عبتاً، حاولت ان تراقب بريق بريق نجمة واحدة. حاولت أن تتذكر شيئاً، أي شيء. لا يهم. صارت تروح وتجيء لتتذكر أي شيء. كأن مثلاً متى ولدت ومتى عاشت. انتبه. لا تصدق. هي تذكرت انها قد تكون نطفة لم تولد بعد. أو ربما ماتت حين وئدت في مدينة ما منذ أكثر من ألف عام. أو ربما ولدت هي والنساء. فوق المدينة أو ربما تحتها. في مدن لا يوجد احد فيها. لا تصدق. حاولت ان تتذكر من هي. هل أوَّوُلدت يوماً. نسيت. متى اجهضت يوماً. لا يهم. تذكرت أنها أولدت في رحم ما، و صار يوماً للمدينة شبابيك وعم أرحام ودفء. أو قل ضوء ارحام. لا فرق. لا فرق.

عبثاً حاولت ان تتذكر من هي. لم تتذكر من حالها سوى بضعة صمت. بضعة خوف أو قدم صغيرة أو كمشة ضحكات. لا تصدق. بدأت تظهر رويداً رويداً ذات يوم داخل جداررحم أو جدار غرفة عتيقة لا فرق. ظهرت مثل غصن صغير أو مثل كلمات. لا تذكر أي زمن. لا تصدق.

هي تحاول الظهور فقط كلمة أو ربما فاصلة أو شبه جملة. لا، رآها كثيرون عارية الكلمات. تضع ورقة توت الكلمات على عورتها. رآها احد ما خلف باب موصل. لا تصدق. كان يخطر ببالها لو أنها ليست كلمة. لو انها شجرة. أو صوت عصفور. أو صمغ سنديان. أو لون وردة أو هواء أو ربما نملة. من يفتش عن نملة. بلى، كان في تلك اللحظة لديها نملة على الحائط تعبر. من يملكها هي؟ إلى أين تعبر؟

تذكرت انها فكرت بذلك منذ أول الليل تذكر ذلك. انتبه. لا تصدق. منذ هنيهة لم تفكر سوى بأن تراقب الليل. عبتاً تراقب بريق نجمة واحدة. منذ اول الليل وهي تراقب السماء. الغيم بقع رمادية مبعثرة تعبر. غيم كأنه قطيع غنم دون راعٍ شاردة. تمهل. لطفاً. شاردة كما يحلو لها. عيناها فجأة صارتا معصوبتين بغيمة. بغيوم كثيرة. لا فرق. ثم حملتها الغيمة وصارت هناك. منذ متى صارت هناك. منذ هنيهة. منذ زمن بعيد. لا يهم. لا تتذكر. تذكرت فقط قبل ان تكتشف اختفاءها في الغيمة طوال عهود عديدة، إذا ما تساءلت يوماً: ليتني نجمة؟

فوزية السندي

شاعرة من البحرين

مريم السعد

(1)

من في المحرق لا يعرف امرأة هذا الزمان الصعب " مريم السعد"؟
من في البحرين، لا يعرف جنة تمشي على الأرض؟
امرأة وهبت وقتها كله، لتبلل بدمعها الخفي ندرة الأمل، لتنتشر حنان الرحمة من قلبها الصغير،
المكنظ بحب يسع العمر.
مريم حزن أم يشبه المحرق، سعت طيلة وقتها النبيل، على استشراف معنى المحبة غير
المشروطة، محبة أسرفت في تقديرها، منزوعة من شغاف صدرها الرحيم، ترسلها لكل من يحيا
حولها، من يسعى إليها، من لا تعرفه، يكفيها أن هناك من ينتظر دفء يديها، فيض
مريم السعد، امرأة تضافرت وحدها، معتقة إيماناً فذاً موصولاً بجدارة الحب على علاج بأس الحياة
وشقاوة الإنسان، حب لا حد له، يد لا ترتد، مجبولة بتلبية النداء تلو الآخر، امرأة لا تتعب، وهي
تشرف على انهيار العطاء، فن السؤال عن الآخرين، مهتمة بكل شيء يتصل بمرارة البشر من ضيق
ذات اليد.
مريم قديسة، كانت، تتعالى كل هذا الوقت الأصم، كانت صوتاً لمن لا صوت له، حضاناً لمن تيتيم
بعد الرحم، لكل إنسان داهمته الحياة ببلوى العمر.
ببساطة، إلتهت "مريم" بالمحبة كلها.
مؤسسة للخير كله، وحدها، دون جمعية عمومية، أو مجلس إدارة، أو زعيق إعلامي، أو جلجلة
للدفاع عن قضايا المرأة وحقوقها، صمت نادر غطى أثون حياتها، شبه جمرة تلتظت بنار أدفأت برد
بيوت تعددت من حولها، دون حرف واحد، حرف واحد لم يصدر عنها، ليس كما يحدث الآن من
فضح للناس، لقاء لقمة تنتثرها الجمعيات والصناديق الخيرية ونواب الناس.

امراً انشغلت برعاية الآلاف من الأرملة، المطلقات، الشيوخ، العجائز، ذوي الاحتياجات الخاصة، كل المرضى، كل الفقراء، عندما أكتب آلاف، أجحف "مريم" حقها، لأنها لم تأبه بالعد إطلاقاً، بل توانت نحو اجتهادها المذهل، دون أن تعباً بذلك، دون أن تعرف معنى الطائفية، التي استشرست الآن، حد استناد العمل الخيري على أسس طائفية، عرقية، قبلية، عنصرية، انتهازية سياسية، دعم حملات انتخابية.

هذه المرأة "الأم تيرزا البحرين" كانت تحرص على تقديم مالها الخاص لعملها الخيري، ثم تتصل بأصحاب الرخاء من أهل الخيرات، لتبلغهم برغبات تكدست في قلوب النسوة والرجال، لتحول ذاتها إلى صلة وصل، توصل عبرها التبرعات العينية والمادية.

كانت تلبى كل الطلبات، من المأكل حتى الملابس، العمرة، الحج، إعالة اليتامى، رعاية المرضى للسفر للخارج، احتفالات الزواج، مساعدات للمطلقات، كل شيء، كل امرأة تحتاج لمساعدة ما، ما عليها سوى الاتصال بمريم السعد.

بعدما تقاعدت من عملها كمشرفة للوحدة الإنتاجية في مركز المحرق الاجتماعي، أسست في بيتها نموذجاً للأسرة المنتجة، لتحقيق الربح اللازم لعملها الخيري، منتوجاتها غطت متطلبات عدة في دول الخليج، تعتبر مريم من أوائل النساء اللواتي جاهدن في هذا المجال التنموي الهام، كما شجعت العديد من النساء على امتحان ذات المشاريع، لإيمانها بأهمية العمل والإنتاج لتحسين صورة الحياة، كانت تساعد العاجز لا العاطل الذي يستطيع العمل، كانت تساند العاطلين بمشاريع ليؤسسوا بسواعدهم طريق المستقبل.

(2)

عندما اختار "السرطان" مريم، فرشت السجادة وصلت ركعتين، شكراً للإله، لأنه اختارها بالذات لتجريب محنتها، لاختبار إيمانها الصعب، شكراً حقيقياً، تجلى رغباً عن المرض -الذي غدا ينخر خلايا جسدها- باستمرارها في عملها المحب، كأن شيئاً لم يحدث. واصلت - رغب الأمل - تحقيق أحلام الناس، كانت تتفق مع الفنادق للاتصال بها بعد نهاية كل عرس، يتصلون في الثالثة بعد منتصف الليل، فتهرع "مريم" وعاملاتها، لاستلام ما تبقى من مآدب

العرس، تحميه في ثلاثيات بيتها، لتوصله لفقراء البحرين وجياعها في نهار اليوم التالي.
الأدهى من ذلك، كانت تسافر لدول الخليج، لجمع زكاة الثقة هناك، لبناء بيت لأرملة ما، أو شراء أسرة طبية، أو....
في رمضان الماضي، وزعت 3000 كوبون للأسر الفقيرة، كوبونات مدعومة لشراء الأغذية، بعد أن اتفقت مع عدة متاجر لتلبية هذا النداء.
لم تأبه "مريم" إطلاقاً بمرارة مرضها، كانت تبتسم وتتلو البسمة تلو الأخرى، الحمد لا يفارق محياها، ممتنة تقول: الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا به.
لذا أمهلها القدر بعضاً من الوقت، لتلقننا درساً نحو حكمة هذه الحياة
مثل الحياة تماماً.. عطاء تام.

(3)

توفر مالها الخاص أولاً، ثم تجمع الزكاة والتبرعات في البحرين، وكل دول الخليج، ثم تبحث عن كل محتاج، تختبر عبر زيارات ميدانية حجم المصاب، تشتري كل شيء، تعين البيوت الآيلة للسقوط، تراجع أو بالأحرى تجابه مؤسسات الدولة لحل المشكلات التي تواجه الناس.
وحدها: لا تغفل عن كل الأعياد والمناسبات، كل يوم في رمضان، ترسل إفطار كامل لعوائل تتعدد، كل عيد توزع كوبونات لشراء ثياب العيد، تسرف بتقديم الأضاحي بالمئات، الهدايا بالآلاف، المواد الغذائية بلا حصر، حد مراعاة نوعية الهبات، تشتري أغلى أنواع الفاكهة، وهي تبوح: "أبي الفقارة يظوقون فاكهة الأغنياء"، الفاخر من "القرقاعون": "عيال الفقارة خاطرهم في قرقاعون الناس اللي الله ما عطيهم".

مرة ذهبت وتوأم روحها "أم علي"، لتقديم معونة لعائلة تحت خط الفقر، عاينت حمام البيت، لتراه حفرة في الأرض، لتتصل بمقاول ما، طلبت منه الحضور الآن، ليبنى حماماً متكاملًا لهؤلاء الأحياء في وطن يرفل بالنسيان.

وحدها: محتلة بالسرطان الذي يدمر جسدها، تسافر "للسعودية"، لتشرف على شراء المئات من كراسي ذوي الاحتياجات الخاصة، الأسرة الطبية للمرضى في البيوت، الأثاث، أفخر التمور، تعنتي "مريم" بكل شيء يفرح فقراء البحرين .

وحدها: فرشت العديد من المساجد بالسجاد، أهدتهم المكيفات والمراوح، ساهمت في إلغاء فاتورة

الكهرباء والماء عن أسرعديدة، نسقت مع وزارة الكهرباء لإدراجهم ضمن الأسر الفقيرة، كانت تتقدم بعربتها الصغيرة، شاحنات ممثلة بمئات المكيفات والسخانات والأثاث، بيتها وحده، مستودعاً للأثاث، تدعو من يحتاج ليأتي ويختار .

وحدها: حققت رغبة العمرة والحج للعديد من الناس، أرسلت المئات من المرضى للعلاج في الخارج، احترفت توزيع الكوبونات الغذائية كل شهر تقريباً، بداية كل عام دراسي توزع الحقائق و الثياب المدرسية، كل شتاء توزع بطانيات وملابس شتوية.

وحدها: اتقنت ترميم البيوت الآيلة للسقوط، بناء المطابخ، دورات المياه، كانت تبني قبل موتها، بيتين لأرامل وبتامى، كانت توصي كل من لديه مناسبة للفرح أو للعزاء، أن يرسل ما تبقى من الأرز، ما أن تستلم القدر الضخمة، حتى تضيف ما طهته من الدجاج أواللحوم، لترسله لجياح البحرين المبتلين بمرارة هذه الأرض، كانت تفيض بكرمها النبيل، حتى في مواقف السيارات، محطات الوقود، لتهدي الشباب العاملين هناك، ما تبقى لها من المال: "أخذوه يمه، استانسوا فيه."

(4)

ودّعت كما لم تفعل من قبل،
حياة لم تكثرث لغبن عدالة لا تراها

لمحة من حياة نَعَم

لست أدري إن كان اسمها نَعَم أم نَعَم، ولعلّه الأخير، يحملني على هذا الترجيح معرفتي بظروفها ومحيطها الذي يجعل أهلها أقرب إلى استحسان الطاعة من الأنثى منهم إلى اعتبارها نعمة هبطت عليهم، أو جلابة للنعم، لحس طالع يرافقها.

كان واضحاً أنه كان لهم ما أرادوه من تسميتها، فنعم قلماً استجابت بغير القبول والانصياع لكل ما كان يطلب منها القيام به، أكان ذلك الزواج وهي لا تزال أقرب إلى الطفولة، أم الحمل بعد أن أنجبت ما يزيد عن العشرة أطفال، أم أي عمل من أعمال الزراعة ورعاية الماشية والاعتناء بالمنزل وأهله.

لا أعلم أين أصبحت وما حدث لها في السنين الكثيرة التي تلت زيارتها لمنزلي لتفقد ابنتها التي عاونتني في أعمال المنزل لبضع سنوات. لكنني من وقت لآخر أتذكر ما روته لي من تفاصيل وظروف ولادة طفلها التاسع.

قالت: "كنا قد تأخرنا ف يحصد الحنطة ويتنا نخاف أن يأتي المطر وقمنا على الأرض فنحسر عناء شهور طويلة. لذلك كنت أحصد مع زوجي وأخوته والأقرب من أطفالي، وعيننا تنتظر بين الفينة والأخرى بتوجس ورجاء نحو الغيوم المسودة. وفاجأني الطلق وأنا أحصد جالسة القرفصاء وسط السنايل. تابعت العمل، لكنّ الطلق ما لبث أن اشتدّ وشعرت بقرب ولادة الطفل. انتحيت خلف حائط الحاكرة حتى ولد الطفل، فقطعت له حبل السرة بحجر وحملته وذهبت على البيت وأنا في حالة من الإعياء. ما كدت أتمدّد في الفراش، حتى رأيت زوجي يدخل بلهفة قائلاً: "يمكنك أن ترتاحي ما شئت بعد المغرب، لكننا الآن بحاجة إلى الإسراع في إنهاء الحصيد، فواضح أن الليلة ستكون ماطرة". كنت تعباً لم تكد أوجاع الولادة تفارقني، لكنني تحاملت على نفسي ووضعت الطفل في "شقلبان" ربطته حول عنقي وعدت إلى الحصيد حتى غابت الشمس".

أذهلتني قصتها هذه. وساءلتها عمّا حدا بها إلى القيام بهذا العمل المضني فوق الاحتمال، الذي كان من شأنه أن يعرضها للخطر صحياً. أجابتنى وابتسامة خفرة تلوح على وجهها المشرق صحة والمتغضّن من كثرة التعرّض لأشعة الشمس: "ما حثني على التغلب على وجعي كان فرحي لأن زوجي نظر في وجهي وعلقت عيناه الراجبتان في عيني وهو يطلب مني هذه الخدمة.

لم يكن هذا يحدث كثيراً بيننا. فعادة يسير أمامي، في الحقل وأثناء التنقل من مكان إلى آخر، فلا أرى وجهه ولا تلتقي عيوننا، وفي البيت يصدر أوامره ويطلب حاجته وهو ينظر إلى أي شيء آخر. فلولا أولادي وتعلقهم الصريح بي، لكنت اقتنعت بأنني شبح أو لابسة لطافية الإخفاء. لعل فرح قلبي بتلقي نظرات خصني بها كان أقوى من آلام جسدي".

"كنت أيضاً فخورة بهذا الاعتراف الضمني بأهمية عملي. فالجميع، بما فيهم أهلي كانوا ينظرون إلى عملي على أنه إعانة عرضية، طفيفة وبطبيعة الحال. وطلب زوجي العون مني يومها كان بمثابة اعتراف بأهمية بل وخطورة ما يمكنني القيام به. لذلك، أردت بفخر وامتنان أن أكون عند حسن ظنه".

"بل أذكر أنه كان يومها للحصيدة متعة لم أعرفها في أي يوم آخر. فرغم الوجع، شعرت بأهميتي وبحب زوجي لي. شعرت بفرح وفخر بطفلي عليّ لم أشعر بهما إزاء أي من ولاداتي الأخرى. وهو من يومها أحبّ أطفالي إلى قلبي".

نجلاء حمادة

مناجاة ما عادت سرية مع امي: جدلية الامومة والزواج

نهوند القادري

لم اكن لافكر يوما ان اتناول سيرة امي على صفحات الكتب لاسباب عديدة منها ما هو على علاقة بعدم مقدرتي على كتابة السير ، ومنها ما يعود الى قناعتي ان امي لم تكن تلك الشخصية الاستثنائية لتكتب سيرتها بالمعنى المتداول لكلمة سيرة ، غير ان تمنى صديقتي جين ونهى دفعني لافكر في شخص أمي من اين سالتاؤها . واذ بالومضة تشتعل في رأسي وتأخذني الى حوار سري طالما افترضت اني أجريه مع امي ودون ان ادري، واذا بهذا الحوار يأخذني نحو العديد من الاشكالات التي طالما راودتني دون ان اعني انها نابعة من اشكالية الام والزوجة التي عاشتها امي، والتي ربما تكونت لديها عبر ردة فعل على اشكالية مغايرة عاشتها جدتي، والتي اظن انها ولدت لدي اشكالية تمظهرت بشكل مغاير، واتوقع ان تطال شطاياها ابنتي.

ادمنت الامومة حتى الرمق الاخير ، انجبت دزينة من الاولاد حتى نهاية عمرك الانجابي وكم كنت تتمنين لو كانت شائعة اساليب منع الحمل في أيامك، دائما كنت تتضرعين الى الله ان يرزق اولادك الاثني عشر باولاد، وكان لك ذلك. ولكنك في الوقت عينه كنت توصيهم بتنظيم الانجاب .

عشنا جديتك وحسن تدريبيرك ، وايمانك وتمعنك في معاني القرآن ، وانهماك في تعليمنا وانت كنت اذالك الوحيدة في ضيعتنا التي تحسن القراءة والكتابة ، في حواراتي السرية معك كنت اسألك من اين لك الوقت لتتهمني بكل هؤلاء الاولاد ، وتهتمي باخوتك لانك طالما كنت تمتعضين من جدتي لكونها تمزح ونهوى ان تعيش ليومها ، وغير ملتزمة بالطقوس الدينية ، وهي القابلة القانونية التي تشهد على ولادة اجيال في بلدتنا ، وتهتمي بالجيران والمعوزين ، وتسدي النصح لكثيرات من النساء ، اذكر كيف ربيتنا صبيانا وبنات بالطريقة ذاتها وعلى القيم نفسها . وهذه نقطة اسجلها لك وعليك .

لفتني كيف والدي كان يسلمك كل ما يجني من اموال، وكيف كنت انتِ تديرين المصروف بحرية تامة، ودون مساءلة منه، وكيف وثق بك لدرجة كنت انتِ تحددين له مصروفه، وكيف استطعت ان يكون لك رأيك في التنافس الضيق بين العائلات على المخترة والبلدية، واذكر مرة كيف ساهمت في نجاح احد رؤساء البلدية، وانتِ لكِ المونة على الكثيرات ممن يقدرنك ويحترمنك.

مارست لعبة الامومة بقداسة ونقاوة لدرجة انك في ايامك الاخيرة في المستشفى وعندما ارتفعت حرارتك لدرجة الهديان وهممت ان تقومي من السرير، قلت لك: الى اين ؟ اجبتي: اريد ان اغطي الاولاد . اعرف كم كنت تتعذبين زمن الخوف من القصف الاسرائيلي الحاقد ، وتعتربك المشاعر المتناقضة، تخافين على اولادك وفي الوقت نفسه تريدان ان يكونوا من الملتزمين بالانسان ومن المدافعين عن العدالة، وهذا ما اصابك يوم سجن اولادك، بسبب دعمهم للمقاومة الفلسطينية. اعرف انك عندما مرض والدي وحتى اثناء مرضك لم تكوني قلقة إلا على قلق اولادك ، لدرجة كنت اتحاشى ان انظر في عينيك خجلاً من قلقك غير المبرر . ولطالما كنت اذهب اليك وكلي حماس لاهتم بك، واذ بي اجدك تجهدين لتحوري اهتمامي نحو اخوتي الذين كنت تهجسين بالاهتمام بهم وهم كبار .

على المقلب الثاني ، طالما كنت احاورك كزوجة، اسألك: لماذا لا تتذوقين وتتجملين لزوجك؟ أليس له ولنفسك حق عليك؟ لماذا لا تتدلعين، لا تمرحين؟ لماذا لم يسترق أحدنا علائم الغنج والدلع على وجهك، وأليس الدلع سر الحياة الزوجية؟ لماذا اخذتك الامومة وأسرتك لدرجة انك ادمنتها وطافت عنك لتمتد إلى الاحفاد والجيران ؟ وما زلت اسألك ولم أجد منك أية إجابة . هل امومتك الفائضة سلبت منك متعة الحياة الزوجية ؟ ربما سوف تجيبيني ان عمق الجمال كائن في زرقة عينيك ، في وجهك الملائكي المشع ، انها نعمة الله عليك . لكن ذلك لا يقنعني لان ما يسمى جمال الروح لايقوم على الشكل وعلى الجدية فقط، بل انه طالما يتغذى من المرح ويترعع في قليل من التسلية. ألا تقترضين معي ان المغالاة في الامومة كفيلة باجهاض متعة الزواج ، لاني لا اذكر انك تدخلتي في زواجي او في خياراتي ، ولا اذكر انك همست في اذني شيئاً ما عن الزواج وعن اساليب النساء مع ازواجهن، ولاأذكر انك انهمكت في تجهيزي لذلك ، كما تفعل الامهات التقليديات. كل ما اذكره انك وجدت في زوجي رجلاً محترماً واحببته على هذا الاساس وطالما رددتي انه " ادامي" وكفى، لدرجة انك لم تسأليني يوماً عن اموري الخاصة ولم تراودك نفسك ان تسأليني اذا كنت سعيدة في زواجي، أليس ذلك مؤشراً على ان هذه الامور لاتعنيك وغير مدرجة في حساباتك؟! أعود وأسألك : هل فعلاً تستقيم الامومة اذا لم تسند بمتعة الحياة الزوجية ؟ واذا كانت

الامومة عطاء صرفاً دون مقابل، وهل في ذلك إسعاد للذات وللشريك، وللأولاد ؟ كرده فعل على إيمانك لأمومتك، لا أخفيك سراً اني قررت أن اتحكم بأمومتي وان اهرب من اسر الامومة المقيدة للذات ، اولا بتقليل عدد الاولاد ، وثانياً في المزج بين الجدية والمرح، الاخذ والعطاء، ولطالما كنت اهوى ان ألعب دور الابنة لاستمتع باهتمام اولادي بي، وبذلك اضرب

عصفورين بحجر واحد، انا استمتع وأندلل وهم يتعلمون المبادرة والعطاء ، ولطالما حدثتني نفسي أن أرفد تلك الامومة من وقت لآخر بمتعة الحياة الزوجية. وكي لا اعيد تجربتك أوصي أولادي ان يهتموا بي وألايتركوني وحيدة في حال قدر لي ان اشيخ او اعجز .

اسرت لي ابنتي يوما وهي صغيرة انها تحلم في الزواج بهدف انجاب اولاد كي تربيهم جدتهم ، ضحكت في سري وكدت اصرخ: لقد نجحت ، ابنتي معجبة بتربيتي. غير أنني أعرف ابنتي جيداً واتوقع انها لن تفعل ذلك ، واتوقع لها ان تعيش امومتها بشكل مغاير عما عشته انا.

فلكل امومة زمانها ، وأبوة تقابلها وتعمل بمثابة مرآة عاكسة لها ، وربما لكل امومة مكانها .